http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1557) السنة السادسة - الاثنين (13) تموز 2009

سدارة علي الوردي في ذكراها الجديدة

جعفر الوردي: البعثيون ضيقوا الخناق عليه والقرّاء أكرموه

سها الشيخلي

تتزامن ذكرى رحيل العلامة الدكتور علي الوردي في ١٣تموز عام ١٩٩٥ مع تحقيق حلم لطالما راود الراحل في انبثاق ثورة يقودها رجل من عامة الشعب ، ينتمي الى الطبقة الفقيرة لكي يشعر بمعاناتها وبؤسها ويعمل على تحقيق (جزء من أمانيها) وليس كلها فقد كان يدرك (رحمه الله) ان اماني الفقراء لا تسعها السماء ! وبهذه المناسبة كانت لنا زيارة لدار الراحل الكائنة في الوزيرية والتقينا ابنه المهندس جعفر ليحدثنا عن العلامة الراحل الدكتور علي الوردي الاب والكاتب الكبير في علم الاجتماع.

قبل ان ابدأ بالحديث مع احد ابناء العلامة الدكتور علي الوردي المهندس جعفر الوردي اود ان اشير الى اني التقيت الراحل الوردي في بداية السبعينيات عندما كنت في المرحلة الاعدادية للصف المنتهي وكانت هذه اولى اللقاءات التي اعتز بها ، فقد كان الوقت مساء وقرب سوق الاستربادي حينما كنت مع والدي ووالدتي رايت رجلا يعانق والدي بحميمية وقدمني له والدي قائلا انها ابنتي وهذه والدتها ، فألحّ الدكتور علي الوردي على ان نصحبه الى داره القريبة من المكان ونشاركه العشاء وهو صحن (الرز على الباقلاء) واصفا اياه بأنه صحن مفضل من قبل اهل الكاظمية . ذهبنا الى الدار التي تقع في منطقة الشيوخ وكانت دارا مبنية على الطراز الشرقي ، وجلب انتباهي ان الباب كان اكبر مما يجب وانه تراثي مطعم باقراص نحاسية ، تناولنا طعام العشاء مع ترحيب ونكات الدكتور الوردي وكان لماحا لما دار في خلد والدتي فقال معتذرا ان زوجته لا تستقبل الضيوف من الرجال حتى لو كانت معهم سيدات ، وانها سيدة بسيطة وغير متعلمة ، وبعد عام دخلت كلية الاداب وفي اول محاضرة لي لدى الدكتور الوردي ، وبعد سنتين من ذلك كتبت بحثا عن (مقدمة ابن خلدون) وطلبت منه ان يرشدني الى ما في البحث من هفوات كان يرصدها بشكل كبير ويعلق عليها ، لكنه قال لي ان تناول مقدمة ابن خلدون امر صعب اختاري موضوعا اخر اسهل فاجبته انا لا ارغب في الامور السهلة بل تستهويني الامور الصعبة لانني اريد ان اضيف شيئا الى المكتبة العربية لا مجرد بحث ياخذ رقما في سجل الابحاث لكل طالب ، ابتسم الدكتور واخذ مني البحث وفي اليوم التالي وجدته يحمل البحث ويسال عني في قاعة الطبري ، التي كانت شاغرة فطلب مني ان نجلس في القاعة وقال لي انه معجب جدا بطريقة تناولي للموضوع ومعجب اكثر بالمقدمة التي اعددتها لموضوع البحث ، وهنا سالني ان كنت انا تلك الفتاة التي تناولت طعام العشاء مع والدها ذات مساء وعندما اجبته بالايجاب تعجب وقال لماذا لا تذكريني طيلة هذه المدة قلت له اريد ان تعرفني تلميذة تحاصرك بالاسئلة فقط وليس ابنة صديقك الحميم ،وذات يوم كان يحدثنا عن (ميثيولوجيا الشعوب) والتطلع الى تحقيق الاماني بكل السبل لارضاء الذات ثم سالنا نحن تلاميذه عن امنياتنا فكان الجواب العام والشامل ان نحرز درجات نجاح مشجعة لاكمال الدراسة (الماجستير والدكتوراه) وهنا سالته انا (وانت ماذا تتمنى بعد ان احرزت الشهرة والدكتوراه) فقال ضاحكا وهو يشير الى الكرسي الشاغر بجانبي .. اتمنى ان اكون تلميذا يجلس الى جانبك على هذا الكرسي وضحكنا جميعا.

اذكر اخر لقاء لي معه كان في شارع المفيد في الكاظمية قبل رحيله بسنتين كان الجو باردا الى درجة كبيرة والوقت مساءا وجدناه انا والراحل بسام الوردي يسير بخطى ثقيلة تقدمنا منه طالبين ان نوصله بالسيارة الى اية جهة يريدها لكنه رفض وبشدة كان معي طفلي الصغير قدمته الى طفلي وانا اقول له هذا (جدو) فرد الدكتور ضاحكا بل قولي له استاذي المعجب.!

في بيت علي الوردي

في الوزيرية كان لنا هذا اللقاء مع ابن الراحل علي الوردي المهندس جعفر علي الوردي الذي حدثنا قائلا :

– الحق اللقب بالعائلة (الوردي) نسبة الى عمل الجد الاول في تقطير ماء الورد وهي عائلة عريقة و (سادة) يعمل اغلب افرادها في السابق بمهنة الصياغة وقد عمل جدنا الاكبر بطلاء منائر ضريح الامام موسى الكاظم (ع) بالذهب، للراحل الوردي اربعة ابناء هم حسان ويعمل طبيبا جراحا في مستشفى اليرموك من مواليد عام ١٩٤٤ وهو الان خارج العراق ، وانا جعفر مهندس اعمل في القطاع الخاص منذ ان تخرجت ولحد الان ومن مواليد ١٩٤٥ ، سيناء تعمل صيدلانية في مستشفى الحبيبية من مواليد ١٩٥٢ ، فيصل خريج كلية اللغات ويعمل مترجما وقد هاجر الى السويد وهو من مواليد عام ١٩٥٥ . ويؤكد المهندس جعفر ان والده كان محاصرا بالرقيب الحكومي طيلة فترة حكم البعث ما جعله يترك الكتابة ، وان تلك الحكومة لم تعطه حقه من الاهتمام المفروض الا ان الصحافة والقراء كانوا يحتفون به رغم كل شيء ، وفي عام ٢٠٠٥ اقامت له جامعة بغداد احتفالا كبيرا في ذكرى وفاته كما منحته امانة بغداد في احتفالية يوم بغداد درعا خاصا بالمناسبة ، وعن ما قيل عن رفع قبره في جامع براثا الى مكان اخر قال المهندس جعفر ان الموضوع قد تمت معالجته وان قبره وقبر الراحل علي جواد الطاهر بقيا في مكانيهما بعد رفع باقي القبور الى مكان اخر كما تم تسييج القبرين والاعتناء بهما .

× علمنا ان اتفاقا قد تم معكم ومع مؤسسة المدى لطبع كتب الراحل على نفقة المؤسسة وانكم قد حضرتم الى المدى لهذا الغرض على ماذا جرى الا تفاق ؟

– تم تأجيل الموضوع لحين قدوم بقية الاخوة المسافرين خارج العراق وان انوب عنهم بوكالة عامة باعتبارنا الورثة .

× كيف كانت علاقتكم بالاب الراحل علي الوردي ؟

× اتذكر انا واخي حسان ان جدنا هو الذي كان يشرف علينا لانهماك الوالد بشؤون الكتابة والبحث ومع كل ذلك فقد كان موجودا معنا في اكثر الاحيان ولا تفوته مناسبة للاحتفال بنا او تقديم المشورة وكان لديه شد اسري كبير رغم انشغاله .

× ما احب الامور الى الاب الراحل ؟

– كان يحب السير على الاقدام ولا يعجز منه وخاصة في شوارع وطرقات الكاظمية مدينته التي عشقها ، كما كان يقضي جل اوقاته في سوق السراي وفي شارع المتنبي ولديه اصدقاء من اصحاب المكتبات .

× كيف تجد الكاتب المبدع علي الوردي ؟

اجده كاتبا قد احرز مكانة رفيعة بين قرائه كما كان الاشهر بين جيل المبدعين في زمانه وهذا كله جاء من كونه كان صادقا وامينا على ما يقول كما اتسم اسلوبه بالبساطة والوضوح في الطرح معتمدا على خزين معرفي كان يمتلكه ولم يبخل به على قرائه بل تواصل معهم وقدم لهم روائع ما يحبون قراءته .

× يبدو لي ان لا أحد من ابنائه قد سار على دربه ونهج منهجه في العلوم الانسانية ما عدا ابنه المترجم فيصل ؟

– لقد ترك لنا حرية الاختيار في الاختصاصات التي ندرسها كما قمنا نحن ايضا بفسح المجال امام ابنائنا في اختيار ما يريدون ومنحنا اولادنا الحرية ذاتها التي منحنا اياها الوالد ، ومع كل ذلك فلم ينهج حتى احفاده نهجه في التاليف والبحث في العلوم الانسانية رغم انه في البداية كان خريج الدراسة العلمية لقد اخذ منا كل الاهتمامات للعلوم الانسانية اخذها من الجذور ولم يترك لنا شيئا .

× اعلم انه قد اشتغل (عطارا) لدى احد اقاربه في مستهل حياته ومنذ ذلك الوقت احب القراءة وبشغف .. كيف حدث له ذلك ؟

– هذا صحيح فقد كان يقرأ كل المجلات والصحف القديمة التي كانت تستخدم في تلك الفترة للف مواد العطارية كما انه كان مشغولا بالقراءة الى درجة ان الزبائن كانوا لا يرغبون التعامل معه مما جعل صاحب الدكان يطرده من العمل .

× من هو الاقرب الى الوالد منكم اليه .. وهل تحب قراءة ما كتب الوالد ؟

– كنت انا الذي يذهب الى المطابع لمتابعة طبع الكتب ومراجعتها وبذا كنت الاقرب من اخوتي اليه وكان اخي حسان خارج العراق وانا لم اكن ملتزما بدوام ومتفرغا له كان ذلك في مطلع عام ١٩٧٠ ، كما كان والدي يكتب الشعر في مستهل حياته الا انه تركه وانشغل بعلم الاجتماع وقد تفرغ له وكان يواصل الليل بالنهار من اجل التاليف والكتابة.

الهندسة وعلم الا جتماع

ويذكر المهندس جعفر ان والده كان استاذا لعلم الاجتماع في كلية الهندسة ايضا وان الجميع كانوا يحبونه ويحتفون به ، الا انه عندما قبل في الكلية ذاتها تم الغاء مادة (علم الاجتماع) من المنهج لكنه كان يعتمد على مكانة والده احيانا لدى اساتذة الكلية .

وعن اجمل الذكريات التي مرت على الاسرة يقول المهندس جعفر انها ولادة اول حفيد له من ابنته سيناء وكان اسمه ماهر عام ١٩٧٧ .:

• هل كان الوالد كثير السفر ، وهل كان على علاقة وثيقة بكتاب عصره مثل نجيب محفوظ؟

– كان يقضي الصيف في الاسكندرية كما كان يحب قضاء الشتاء في بلغاريا ، اما علاقته بكتاب عصره فكان على علاقة وثيقة بالكاتب والمفكر سلامة موسى فقط ربما لانه كان الاقرب الى فلسفته وافكاره .

• كانت هناك فكرة لاقامة تمثال للراحل علي الوردي في مدينته التي احبها الكاظمية من قبل امانة بغداد .. اين وصل ذلك المشروع ؟

– هذا صحيح كما كانت هناك فكرة لتسمية احد شوارع الكاظمية باسمه اضافة الى التمثال لكن يبدو ان الامر قد نسته امانة بغداد .

• ما يميز الراحل الوردي انه كان يعتمر (السدارة) لماذا ؟

– في زمانه كان الشباب يتحرجون الظهور حاسري الراس وكانوا يرتدون (الطربوش) وهو من بقايا العثمانيين وقد استبدل بالسدارة الفيصلية التي جاء بها الملك فيصل الاول عند توليه عرش العراق عام ١٩٢١ .

الدكتور علي الوردي في سطور

– ولد في مدينة الكاظمية عام ١٩١٣ م.
– اكمل الدراسة الاعدادية الفرع العلمي (الاول على العراق) عام ١٩٣٦.
– دخل معهد المعلمين وعين بعد تخرجه في مدينة الشطرة عام ١٩٣٧.
– حصل على بعثة دراسية في الجامعة الامريكية في بيروت ونال شهادة البكلوريوس بدرجة شرف عام ١٩٤٣.
– عين مدرسا في الاعدادية المركزية ببغداد بعد رجوعه من البعثة الدراسية منذ عام ١٩٤٣ولغاية ١٩٤٥.
– نال شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة تكساس الامريكية عام ١٩٥٠.
– عين مدرسا لعلم الاجتماع في كلية الاداب – بغداد عام ١٩٥٣.
– رقي الى رتبة استاذ مساعد في قسم الاجتماع – كلية الاداب – بغداد عام ١٩٦٢
– احيل على التقاعد بناء على طلبه ومنحته جامعة بغداد لقب (استاذ متمرس) عام ١٩٧٠.
– انتقل الى جوار ربه تعالى بتاريخ ١٩٩٥/٧/١٣ م.

اصدر الكتب التالية:
– شخصية الفرد العراقي عام ١٩٥١.
– خوارق اللاشعور عام ١٩٥٢.
– وعاظ السلاطين ١٩٥٤.
– مهزلة العقل البشري ١٩٥٥.
– اسطورة الادب الرفيع عام ١٩٥٧.
– الاحلام بين العلم والعقيدة ١٩٥٩.
– منطق ابن خلدون ١٩٦٢.
– دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ١٩٦٥.
– لمحات اجتماعية عن تاريخ العراق الحديث ١٩٦٥. باجزائه الستة مع الملحق.

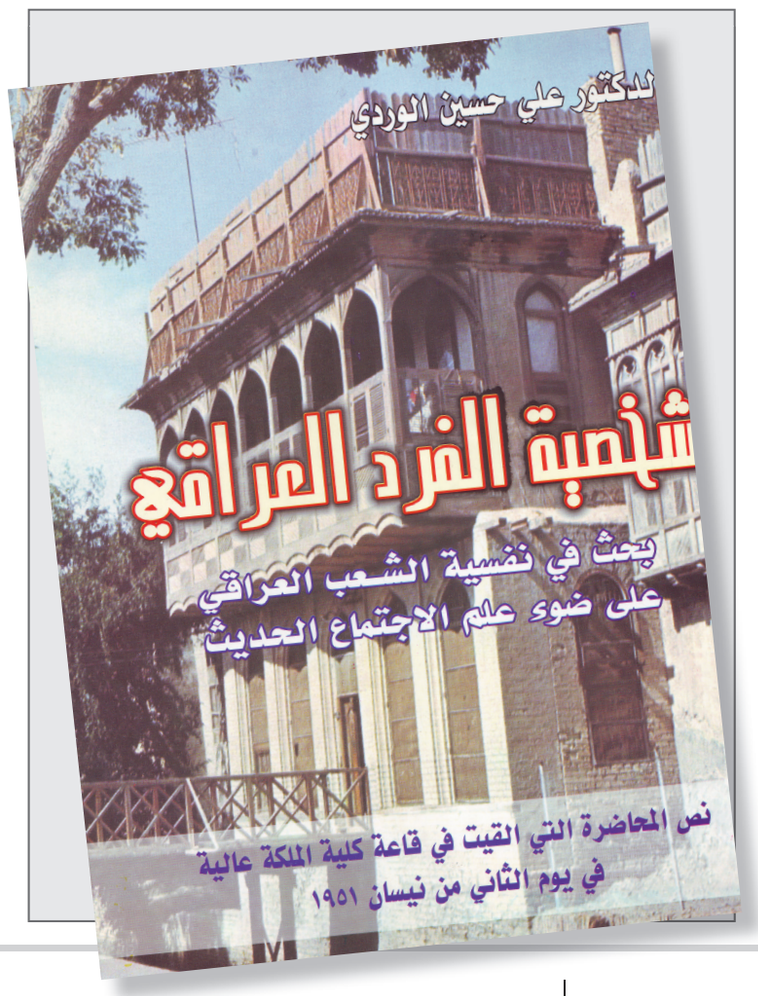

في "السياق الرسمي" للشعر!

فوزي كريم

لأُسمي السياق السائد من "حداثة" أدبنا اليوم بـ"السياق الرسمي"، لأني أعتقد أن هناك قرابةً بين هذا السياق الحداثي الجماعي، وبين "الرسمي" الذي نُطلقه عادةً على توجه الدولة الثقافي. كلٌ منهما يدعو بحماس إلى صيغة حداثة تتصف بصفات اليوتابيا، التي تفترض فصلاً قاطعاً بين رؤيا المبدع وبين الحياة، كما تتصف بالهاجس الجماعي، الذي لا فرصة فيه لفرادة الصوت.

إن شاعراً مثل صلاح عبد الصبور كان مدعاةَ سخريةٍ طوالَ حياته الشعرية، من قبل الموقف السياسي لليسار المصري، الذي كان يعيبُ عليه "نزعتَه الحزينةَ التشاؤمية" في زمن الثورة. معظمُ شعراء جيله، والجيل التالي عليه (يسميه نزار قباني شاعر قباقيب! وأدونيس ينظر إلى ركاكته بإشفاق!)، كانوا يحاولون معه قالبَ الحداثة وما بعدها، والتجريبية وما يحيط بها، فلا يلينُ لهما. حدث ذلك مع السياب المتّهم بالحزن في الزمن الثوري، وبضعف قدرته على فهم الحداثة (يراه فاضل العزاوي جرذاً معلقاً من ذيله!). أحد الأصدقاء حاولَ قراءةَ البريكان، فوجده أدنى درجة من إكباري له، فاته أن إكباري للبريكان كان وفقَ معيار وعيه الشعري، لا طاقته الشعرية. فهو أضعف من السياب في هذه الطاقة، ولكنه يعرف شأن السياب، عن وعي، ماهيةَ الشعر، والثلاثةُ لم يستجيبوا إلى طغيانِ الأفكار العُظمى المهيمنة، بلْ إلى ذواتهم وحدها. ولذلك ما من هدف (عقائدي، وعقيدةُ الحداثة ضمناً) تتعلّق به قصائدهم، كما يتعلّق كائنٌ ببالون الوهم. وكذلك أصواتُهم تبدو فريدةً فرادةَ ذواتهم الشعرية، بالمقارنة مع قصائد السياق الحداثي الجماعي، التي تبدو وكأنها تنطلق من حَنجرة واحدة، مع فارق طبقة الصوت أو لونه فقط. وحتى لو بدا شاعرٌ كبير مثل أدونيس متميزاً، إلا أنَّ تميزَه سهلُ المحاكاة من قبل كلِّ راغب. والسببُ أن شاعرَ الحداثة والتجريبية (عن قصد) هو شاعرُ فكرة، وشاعرُ تُقنية. ومحاكاةُ شاعرِ الفكرة والتقنية يسيرةٌ.

أما السياب وعبد الصبور والبريكان ومن يشبههم فهم شعراءُ حياة شعرية داخلية لا يمكنُ محاكاتها، نادرة لا شأن لها بمواصفات الحداثة النظرية. قد يكونَ واحدُهم أعمقَ استجابةً لمعنى الحداثة الشعرية، ولكنه لا يصرفُ الوقتَ كلَّه في تعبيد طريقها، وصيانته، وكتابة القصيدة وفقَ موازينه، ثم فضح من لا يُحسن المشيَ عليه، كما يفعل مقاولو الحداثة منذ سنين.

هناك "سياقٌ رسمي" إذنْ لهذه الحداثة، أو ما بعدها، لا يخرجُ عن جادّته أحد. وتبادلُ التهم المتواصلُ بين شعراء المرحلة، بأنّ أحَدَهم لم يفهمْ عناصرَ الحداثة بصورة صحيحة، أو أنه أساءَ فهمَ عنصر من عناصرها، دليلٌ أكيدٌ على التوافق غير المُعلن بين الجميع.

حين دبّت قصيدةُ النثر على جادة الحداثة الشعرية العربية متصابيةً صار الجميعُ دعاةَ قصيدة نثر، حتى الذين لا ألفةَ لهم معها صاروا رعاةً بررة، يجارون "السائد الرسمي" عن مصلحة، أو عن خشية.

وحين دبّت البنيوية على جادة الحداثة النقدية العربية صار الكتاب بنيويين، حتى في كتابة رسائلهم، بل بنيويين حتى في حواراتهم وأحاديثهم. وصارت الصحافة الثقافية عَرابة البنيوية، ومحرروها مندوبي باريس. وما "المهمش" و"الذكوري"، "والانزياحي" و"النسقي"، و"المسكوت عنه"... إلا هلوسة أشباح مشرّدة لمفكري باريس خاصة: فوكو، بارت، دريدا، دولوز... لا مأوى لها ولا ملاذ، على أرصفة العالم العربي.

إن هناك ذعراً من فرادة الصوت الشعري، أو الصوت النقدي، الذي يدبّ خارجَ السرب. الذي ينتفع من ثقافة الغرب عميقاً لأنه يفهم الغرب عميقاً، دون أن يجد فيها أيَّ نسغ مشترك مع نسغ جذوره. فحضورُه غيرُ المرغوب فيه، مجرّدُ حضوره، يكشفُ عن ظاهرة "السياق الرسمي" في الشعر والنقد، لأنه يراها عن مبعدة، يرى مسيرتَها المتوافقة تحت راية واحدة، رغم هتاف الأصوات مغردة تحت الراية بالمختلف، الرافض، الضدي، المُغيّر، المتجاوز،....

متابعة

الأعلام العراقي.. الواقع والآفاق في ندوة الثقافة للجميع

متابعات/ محمد جابر احمد

قدم الإعلامي باسم العوادي وبحضور حشد كبير من المثقفين والأدباء محاضرة تناولت الأعلام في العراق ، والمراحل المختلفة التي مر بها ، في جلسة الخميس المصادف ٢٠٠٩/٧/٩ على قاعة فؤاد التكرلي ، حيث وجه شكره للجمعية والحضور مستهلاً محاضرته بتعريف الأعلام من حيث هو (إيصال او تبليغ رسالة) ، ثم تطرق الى الدور الأساسي الذي يلعبه الأعلام في حياة الفرد ثقافياً وسياسياً واجتماعيا وتأثيره على سياسات الدول من النواحي الاقتصادية والثقافية ، وجاء على ذكر تاريخ الإعلام في العراق من حيث انتقالاته وتطوراته من الاعتماد على الصحف في فترة الستينيات والسبعينيات، باعتبارها المنفذ الوحيد للفكر والثقافة والترويج . مؤكداً ان المقالات والمادة الإعلامية التي كانت تنشر آنذاك أكثر رصانةً وعمقا من المقالات والآراء التي تكتب في الصحف العراقية في الوقت الراهن ، لأنها كانت المنبر الوحيد ومركز الثقل لكل منتج ثقافي، ام اليوم فبسبب اعتماد المتلقي على العدد الهائل من وسائل الأعلام ووسائل الاتصال المختلفة قل الأعتماد على الصحف في تلقي المعلومة او الانتباه الى ما ينشر فيها ، وذكر ان الإعلام في العراق كان موجها ومحدوداً ومحاصراً . اما في العراق الجديد فيمثل ٢٠٠٣/٤/٩ انعطافة آيديولوجية وثقافية، بعد سقوط سلطة صدام ، وسقوط جميع المؤسسات التي كانت تستظل بتلك السلطة ، فنحن الآن في طور تشكيل دولة العراق الجديد وواحدة من أهم مفردات التغيير هي الأعلام ، أذ انتقلنا من الأعلام المغلق الى العالم المفتوح ، حتى أننا نفوق في عدد الفضائيات العراقية (٤٠ فضائية تقريباً) ما لدى الدول المجاورة ، وأكد العوادي على هذا التغيير يؤثر على المجتمع والفرد في القناعات والسلوك وغيرها من المظاهر الحياتية حيث تتحول المادة الإعلامية الى بنيات سياسية وآيديولوجية، وأضاف ان هذا العدد الهائل من وسائل الأعلام يؤثر بشكل سلبي على تشكيل الرأي العام الموحد ، حيث يصعب في ظل هكذا وضع ان يكون لدينا أجماع بنسبة ٧٠٪ على أي قضية فآليات التلقي مختلفة وهذا الوضع بطبيعته يشكل عائقاً امام تشكيل مثل هذا الرأي . وفي ختام حديثه دعا الى ضبط إيقاع الأعلام في العراق عبر تشكيل مؤسسات مهنية وضوابط تمنع الإساءة الى الحرية . وبعد ذلك قدم الحضور أسئلتهم ومداخلاتهم للإعلامي باسم العوادي منهم الشاعر حسين القاصد الذي اكد رأي العوادي قائلاً " يجب ان تكون هناك ضوابط للأعلام في العراق " . و الفنان زهير رسام الذي تساءل هل الحرية بكثرة الصحف . وهل هذه الكثرة تكفي فقط ، اذا لم تؤثر في المجتمع وتعالج همومه وتلامس جراحه ، بدءاً بسوء الخدمات والبطالة ..الخ ؟ وغيرها من الأسئلة والمداخلات وكان رد العوادي ان الأعلام هو مرآة للمجتمع فعليه ان يعكس الصورة الحقيقية له . وفي الختام قدمت السيدة سافرة جميل حافظ هدية الجمعية الى السيد العوادي .

الكوميديا الإنسانية لويلا كارتر

ترجمة: إيمان قاسم ذيبان

عنوان عرفناه منذ القرن التاسع عشر للكاتب بلزاك لكننا لم نعلم أن هناك من أقتفى خطاه وكون من مسار الكاتب طريقاً خاصاً به. ألا وهو الكاتبة الأميركية ويلا كارتر.

في كل مرة نقرأ رواية من روايات ويلا كارتر (١٨٧٣-١٩٤٧) نتساءل لم تعد الآن كاتبة منسية من بين كبار الكتاب الأميركيين الذين عاشوا في النصف الأول من القرن العشرين وبقيت كذلك على الرغم من الجهود المبذولة لإعادة اكتشافها من قبل عدة ناشرين ومترجمين ولاسيما المترجم البارع (مارك شانيتيه).

وبشجاعة تامة وبمزيج من الاندفاع والمغامرة، استأنفت منشورات (ريفاج) ترجمة ونشر المؤلفات الكاملة لهذه الكاتبة ومنها العمل المميز (أنشودة القبرة) الذي ظهر عام ١٩١٥، أي بعد إصدارها لجملة من الأعمال المميزة مثل (الرواد) عام ١٩١٣ وتلاه (مونا انتونيا) عام ١٩١٨ أحد أهم أعمالها، الكتاب الذي ضمنته الكثير من سيرتها الذاتية. ومع إن ويلا وصفت أنشودة القبرة بالكتاب الذي استمتعت به كثيراً، إلا إنه مع ذلك لم يحصد الكثير من النجاح مقارنة بعملها السابق (مون انتونيا) واللاحق (واحد منا) الذي حاز على جائزة بولتزر عام ١٩٢٢.

وبلا ريب، تعد رواية (أنشودة القبرة) من الروايات التعليمية المهمة، ذات نص متأثر بالدرجة الأولى بأعمال الكاتب بلزاك (كما ذكرنا) وهذا لم يمنع ولع الكاتبة بكتاب آخرين أمثال فلوبير، هنري، جيمس. واستمرت ويلا في العطاء وتقديم كل ما هو مميز حتى إن الكاتب (سانغلير لوس) قال لحظة تسلمه جائزة نوبل عام ١٩٣٠ إنها تستحق هذا التكريم مثله تماما.

وفي روايتها أنشودة القبرة أضحى بلزاك رمزاً واضحاً منذ بداية القصة التي تحكي عن (تيا غردنبورغ) وكونه أحد الروائيين المفضلين لصديق أسرتها الدكتور (آرشي) الذي شرح لتيا إعجابه الشديد به قائلاً: "فرنسي شرع في كتابة حياة مدينة تعج بالناس من طبقات مختلفة. وقد نجح في إعادة ترتيب حياتهم في أعماله وهذا شيء مثير للغاية. لهذا السبب ستشعرين بالسعادة لحظة قراءتك يوماً ما لأحد أعماله عندما تكبرين قليلاً.

عاشت بطلة رواية ويلا مع أسرتها المكونة من سبعة أطفال ووالدها المنتمي لعائلة عريقة من النبلاء. لذا عرفت العيش الرغيد والرفاهية وإقامة علاقات اجتماعية سليمة وثابتة بعيداً عن المجاعة والفقر والبؤس التي شهدها ذلك العصر إلا إنها مع ذلك أدركت ضرورة الفرار من القدر المحتوم على كل إمرأة نهاية القرن التاسع عشر، قدر مشابه لذلك الذي عاشته والدتها التي انتظرت بفارغ الصبر الزواج وإنجاب الأطفال والاهتمام بهم.

وقد انعكست رغبة الفرار هذه في وجهها وعينيها المليئتين بالاندفاع والتساؤلات إذ سرعان ما تنامت موهبتها في الموسيقى، ولم يعارض أهلها طموحها. ولا ننسى تشجيع الدكتور (آرشي) والبروفيسور لانش ومنحهما إياها المزيد من الوقت المخصص للتعلم.

وتصف أنشودة القبرة مراحل ولادة مغنية ناعمة الصوت وأنيقة الملبس، فاتنة الجسد، وهو ما آلت إليه (تيا) عندما كبرت. فهي لم تصبح عازفة بيانو كما توقعت لحظة مغادرة الأسرة والوطن، بل مغنية محترفة تجيد الأغاني الكلاسيكية وتتقن أداءها. وقد اتخذت هذا القرار بفضل أستاذها (هارساني) القادم من شيكاغو الذي أدرك أن مستقبلها ينصب في الغناء وليس في أي شيء آخر. لذا، عهد بها إلى أستاذ آخر أكثر تخصصاً في هذا المجال.

إلا إن المتعة في قراءة هذا العمل لا تكمن في فهم قدرة هذه الفتاة في التخلي عن بيئة هادئة ومريحة نحو حياة تحتاج إلى بذل الجهود المضنية وتحقيق الالتزام. لكن أيضاً في فهم طبيعة التصدعات والخلافات التي تحيط بأسرتها وصعوبة الطريق الذي اتخذته للوصول إلى القمة.

فالغناء بالنسبة لها عمل يتطلب القوة والاندفاع وتجتمع فيه خفة الجسد والطاقة المتفردة ومثل هاتين الصفتين مكنتاها من الغناء ببراعة.

وعرفت إنها لن تعيش مثل الآخرين، أي قد تستيقظ مثل أي شخص كل صباح مع الإحساس بأن حياته وعزيمته وأخيرا موهبته تعود إليه، وبأنه هنا يقف بكل جهده ولا شيء يكدر صفو حياته أو يضايقه.

ولابد من القول أن موهبة ويلا كارتر تتأتى من الإحساس بالتفاصيل ودقة الوصف والاهتمام الميال إلى ظهور المشاعر والأحاسيس الذي يتجلى بأدق صوره بالاهتمام بأشجار الزيزفون التي تحمل زهوراً يميل لونها إلى العسلي وبعطر فواح يطغى على عطر الأشجار والزهور الأخرى.

وإذا كانت أنشودة القبرة تعبر عن شخصية واحدة واكتشاف واحد وموهبة واحدة. فهي في الوقت ذاته تتمحور حول الشخصيات الثانوية أمثال الدكتور آرشي وراي كينيدي الحبيب الأول لتيا الذي مات فجأة في حادث ووالدها سليل أسرة غرونبورغ وفريد اونبرغ حبيبها الثاني وأستاذها.

وصفت الكاتبة كل شيء يتعلق بوجودهم وطريقة تعاملهم وارتباطهم بتيا دون أن يكون هذا الوصف ثقيلاً أو مسهباً ولا حتى طويلاً أو إرشادياً. وإذا كان بعض هؤلاء يمرون قليلاً ثم ينتهي دورهم، أو لا يكون لحضورهم شيئ مميز وأيضاً لا يمثلون سوى استنتاجات أو صور خيالية، إلا إنهم كانوا مذكورين ببراعة ودقة مع قليل من الكلمات مثل تلك المرأة التي وصفتها بالهزيلة والشاحبة والعاطفية.

وبتدفق الحبكة الروائية، يعرف القارئ أن تيا ليست إمرأة عاطفية ولا قاسية أو متجلدة في الوقت ذاته حتى وأن تسببت بأشياء مريرة لعدة أشخاص لاسيما أولئك الذين لم يكونوا أبداً في يوم ما شيئاً مميزاً ولا ضرورياً في الحقيقة. وبعدً تسليط الأضواء على هذا العمل، لم تعد ويلا كارتر من المنسيات بل أصبحت المبتكرة لشخصية فاتنة سميت في يوم ما المغنية تيا بروغنر.

عن صحيفة اللوموند الفرنسية